

## الانتقال من الحرب إلى السلم

لحضرة صاحب السعادة زكريا مهران باشا

سنتهى هذه الحرب بعد وقت إما طال أو قصر . ثم تعقبها فترة انتقال من الحرب إلى السلم . وهي فترة مليئة بالحوادث الجسام لانقل في نتائجها الخطيرة عن نتائج الحرب نفسها . تلك فترة مفعمة بالمعضلات تبدأ بتصفية آثار الحرب وتنتهي حين يستقر الحديد من النظم والأوضاع التي يتمخض عنها هذا الصراع العنيف من مشكلات سياسية واجتماعية واقتصادية . فالحروب دائما مراحل تطور في المدنيات لمصاحبتها في تغيير من عقائد الأفراد والجماعات .

أما في صدد الاجتماع والسياسة فقد أخذ الساسة يتحدون عن الحريات الرابع . وأما في صدد الاقتصاد فالتنازى المؤتمرات تعقد بين وقت وآخر قصد مكافحة الغلاء وكبح التضخم واجتباب الاخطاء التي حدثت عقب الحرب الماضية وكانت منها الكوارث والأزمات .

ونقرأ أيضا لكتاب الغرب بحونا طيبة عن الانتقال من الحرب إلى السلم . وهم يعمنون فيها بمستقبل الجنود بعد تسريحهم وما يطالب به العمال من إصلاح حالهم وتأمينهم ضد البطالة والمرض والشيخوخة . ويبصر هؤلاء الكتاب أقوامهم بما تستهدفه التجارة بعد الحرب من عقبات وما تتعرض له الصناعة من منافسات تؤدي بها إلى البوار في بعض الأحيان ، وما ينوء به عاتق الميزانيات من ديون تثقل كاهلها وقد تعجزها عن السداد .

تلك هي أهم المسائل التي يتناولها بالبحث ساسة الغرب وكتاب الاقتصاد فيه ، يتناولها من ناحيتنا مسائل يجب أن نعي بجنتها وتدير الحلول العملية لها . . وهذه المسائل تتلخص في كون الحرب قد سببت زيادة في النقود عندنا إلى حد رفع الأسعار وأضررت بالموظفين والاجراء ودوى المرتبات الثابتة . ثم إن الحرب أوجدت في مصر جيشا من العمال والصناع المهرة المدر بين يجب أن نستفيد منهم وأن نوفر لهم العمل عند تسريحهم . ومن ناحية أخرى فإن القطن فيما اعتقد مستقبه محفوف بالمكاره . وفضلا عن هذا كله فإن مصر قد قطعت شوطا طيبا في مضمار الصناعة منذ الحرب الماضية . فلما جاءت الحرب الحاصرة مكنتها من ترقية الصناعات التي كانت قائمة وخلق صناعات أخرى .

إننا إذا قارنا بموقفنا الدول الأخرى فالتنازى نجد الله أن وقانا شر الحرب وجعل بلادنا تخرج منها دائنة بعد أن كانت مدينة . وستكون ظروفنا بإذن الله أفضل من ظروف كثير من الدول الأخرى إذا أحسنا القيام عليها .

المال وفير قد استودعه أصحابه البنوك في انتظار مستغل له . والأيدى العاملة قد كثرت عندنا ونالت التجارب والمران . والشباب متوثب يتقد جراءة وإقداما . ومن ثم فلا صدر لنا إذا تقاعسنا عن استكمال نهضتنا أو فرطنا فيها .

أريت كيف نكا بالأمس تهيب الأعمال الحرة ونحسب الأقدار قد كتبت على مصر أن تكون بلدا زراعيًا تصديقًا لما لبته فينا السياسة من قالة استطاع المعفور له طلعت باشا حرب أن يدحضها وأن يقيم الدليل عمليا على فسادها يوم نهض بصناعات مصرية وبرعوس أموال مصرية صميمة ؟

لا أريد أن يفهم من كلامي أني أدعو إلى أهمال شأن الزراعة، إنما أريد أن تكون مصر بلدا يجمع بين الزراعة والصناعة ، لأن مستقبل الزراعة وبخاصة القطن مظلم لا يجوز الاعتماد عليه . وقد قرأنا في التلغرافات أن الغزاليين قد أخذوا يقبلون على القطن القصير التيلة ، لرخص ثمنه ، وأن الحرير الصناعي قد ارتقى إلى درجة زاحم فيها القطن وهدده بأوخم العواقب . لا يمكن لمصر المستقلة أن تعتمد على الزراعة وحدها ، فلا يصون الاستقلال ويدعمه غير الصناعة . وقد أثبت تاريخها أنها كانت تجمع بين الزراعة والصناعة وأن الصناعة كانت تزدهر فيها كلما ، استقلت فإن غلبها فاتح على أمرها اتخذها مزرعة تقدم له الحبوب والمواد الأولية .

من واجبنا أن ندرك ذلك وأن نستغل الأموال الموزعة الآن في البنوك وعبيد الشركات - وهي لا تقدر بأقل من ٣٥٠ مليون جنيه - في ترقية الصناعات التي ثبت نجاحها عندنا أو تكون بلادنا في حاجة إليها .

لقد مضى الوقت الذي كافيته نستغل أموالنا في شراء الأراضي الزراعية المرتفعة الثمن المعرضة للالتزامات بين وقت وآخر فضلا عن متاعب الإدارة والخير لمن يملك منا أرضا أن يساهم في الشركات حتى يضمن لإرادته في الثروتين العقارية والمبتولة . إذا انخفض دخل أحدهما اعتمد على دخل الأخرى . يهمني في هذا المقام أن أدعو إلى الاتكاف من الشركات وخصوصا المساهمة ، لأن ثروة الفرد أو القليل من الأفراد منها عظمت لا يمكنها أن تؤسس شركات تثبت في المستقبل لمفاسدة الشركات العتيقة في البلاد الأخرى ، تلك الشركات التي تعتمد على رؤوس أموال صعبة يديرها دهاة مخنكون قد حذفوا فنون التجارة والصناعة .

لقد كانت بمصر بيوت تجارية وصناعية عامرة أقامها عصاميون . فلما ماتوا اندثرت هذه البيوت لأن أولادهم لم يرثوا مواهب آبائهم . وأنى لأجد من واجبي بهذه المناسبة أن أدعو جميع المصريين الذين أصابوا نجاحا في هذه الحرب في الأعمال الحرة أن يحاوها إلى شركات مساهمة . فتنى ذلك تقع لهم ولورثتهم من بعدهم . وحفظ للمؤسسات التي نرجو لها البقاء ونعدها من مفاخر نهضتنا الحديثة .

لست من انفائين بحجارية كثرة النقود عندنا ، فهذه الكثرة التي يسميها الاقتصاديون بالتضخم ليست بالضارة لذاتها ، وإنما ضررها يرجع إلى كونها لا تتناول الناس جميعا بنسبة واحدة . فقد سعد بها قوم وشقى بها الفلاح وهو أحق الناس بأن ينعم بالتضخم . هذا

الفلاح يجب أن يرفع أجره إذا كان أجيرا وأن يعمل على زيادة غلة أرضه إذا كان مزارعا .  
لا أنكر أن كثرة النقود لها أضرارها ولها ضحاياها ، إلا أنه يجب ألا نغفل عما فيها من مزايا  
يجب الاستفادة منها . فمن فوائدنا أننا نستطيع سداد ديوننا بعملة منخفضة القيمة ، وإقامة  
الصناعات التي نحن في أمس الحاجة إليها .

غير أنه لا يقوتنا أن نلفت الأنظار إلى ضرورة الاحتياط للغد . فليدخر كل منا ما يستطيع  
ادخاره ليستعين به على عوادي الأزمات التي تحدث عادة عقب الحروب ، ولا نسرف  
في التفاؤل كما أسرفنا في الحرب الماضية فلا نشترى بالتقسيط فتمتحمّل الأقساط في أوقات  
سداد ، ولا نستأجر بلإيجارات مرتفعة نعجز عن سدادها إذا عادت الأسعار سيرتها الأولى .  
لقد كانت لنا في الحروب الماضية أخطاء يجب ألا نكرها ، وكانت لنا دروس يجب  
الانتفاع بها .

ولنذكر أننا قد بدأنا نهضتنا بعد الحرب الماضية ، وعلينا أن نتمها بعد هذه الحرب  
الحاضرة .

زكريا مهران